

جامع البيان بين الماثور والراى

تمهيد :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، واله وصحبه ومن تبعه باحسان الى يوم الدين، وبعد-

انزل الله تعالى القرآن الكريم، بلسان عربى مبين، منه آيات متشابهات لا يعلمها الا الله تعالى واخر محكمات، هن ام الكتاب بين الرسول صلى الله عليه وسلم ما لا يمكن ان يعلم الآيات، قال تعالى (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما انزل اليهم ولعلهم يتفكرون). وقال ايضا (وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه.....) ومن المحكمات ما تعرفه العرب بفتحها لانه (كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون) وهنا القسم الاخير مست الحاجة الى بسطه وتوضيحه للناس حيث دخل فى الاسلام كثير من غير العرب او الاحتكاك باليهود والنصارى، واسلام بعضهم مع ما يحمل كل هؤلاء من الكفر وثقافات جعلت العلماء يبذلون جهودهم لبيان مراد الله فى كتابه بسبب الاحوال المستجدة .

لهذا برز من الصحابة علماء فسروا آيات كتاب الله تعالى، ومن اشهرهم وأكثرهم تفسيرا عبدالله ابن عباس، وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم اجمعين. (١)

وبعد عصر الصحابة توسع التفسير كثيرا، حيث تتلمذ عليهم علماء من التابعين، من اشهرهم مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن البصرى وتلمذ على هؤلاء ايضا علماء من اتباع التابعين وهكذا تسلسل هذا العلم . حتى كان فى كل عصر علماء يفسرون كتاب الله تعالى.

بعد ذلك تحط بنا الرجال عند ابى جعفر الطبرى، صاحب الموسوعة التفسيرية، التى صب فيها عبارة فكره، وخلاصته جهده، وضمنها ميراث العلماء السابقين وجهودهم، منقوله، اننا باستقيلها الى قائلها، ليكون بذلك كتابه (جامع البيان عن تاويل اى القرآن) النتيجة التفسيرية للقرون الاولى.

الخص على العلم بتفسير القرآن الكريم :

ان علم التفسير من اشرف العلوم لان فيه بيان كلام الله تعالى، لذلك نجد الآيات تحض على فهم القرآن الكريم، وتلجر آياته بقول ابو جعفر رحمه الله تعالى: (وفى حث الله عز وجل عباده على الاعتبار بما فى اى القرآن الكريم من المواظ والتبيان، بقوله جل ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم (كتاب انزل اليك مبلوك ليبروا آياته وليتذكر اولو الالباب). وقوله (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون). وما اشبه ذلك من اى القرآن الكريم، التى امر الله

عباده وحشهم لهما' على الاعتبار بامثال القران والاتعاظ بمواعظه' ما يدل على ان عليهم معرفته تاويل ما لم يحجب عنهم تاويله من آياته' لانه محال ان يقال لمن لا يفهم ما يقال له' ولا يعقل تاويله' اعتبر بمالا فهم لك به' ولا معرفته من القيل والبيان الاعلى معنى الامر بان يفهمه ويفقهه' ثم يتدبره ويعتبر به (والصحاحته طبقوا هنا التكليف الالهي بتدبر آيات القران الكريم عمليا في حياتهم' فكثروا اذا تعلموا عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعملوا بما فيها من العمل لتعلموا القران والعمل جميعا. (٢)

جامع البيان بين المأثور والرأى من التفسير:

ان مولف (جامع البيان عن تاويل اى القران) او ما يعرف ب (تفسير الطبرى) هو ابو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خير بن غالب الطبرى' الامام الجليل' المجتهد المطلق' صاحب التصانيف المشهورة' وهو من اهل اهل اسد طبرستان' ولد بها عام (٥٢٢٣هـ) اربع وعشرين ومائتين من الهجرة' ورحل من بلده في طلب العلم وهو ابن اثنتى عشرة سنة و ذلك سنته ست وثلاثين ومائتين' وطوف الاقاليم' فسمع بمصر والشام والعراق ثم القى عصاه واستقر في بغداد وبقى فيها الى ان مات سنته (٥٣١٠هـ) عشر وثلاثماتم (٣)

وهنا التفسير الذى يقع في ثلاثين جزا له اوليه زمنيه واوليه صناعيه ولفنيه' اما الاوليه الزمنيه فهو اقدم تفسير وصل اليها' وما كان قبله فقد ضاع بمرور الزمن الاما وجد في ثلثها هنا التفسير من آثار.

واما الاوليه الفنيه والصناعيه و ذلك بما استازت به طريقه في العرض' حتى اخرجه للناس كتابا له قيمته واهميته (٥)

ان المطالع لهذا التفسير يلاحظ كثرة الروايات المسوقة بأسانيدھا الى قائلھا من الصحابه والتابعين ومن جاء بعدهم من علماء التفسير.

ونتيج عن هذا اعتقده بان تفسير الامام الطبرى هو (تفسير بالما ثور المحض) بمعنى ان عمل الامام مقتصر على نقل الروايات فقط دون اى جهد فكرى منه (٦)

وهنا غض لشخصيته الامام العلميه وانتقاص لعمله التفسيري . والحقيقه ان الامام رحمه الله تعالى: مفسر ولغوى وفقه واصولى وعالم بالقراءات وغير ذلك من العلوم بقول السيوطي: (وكتابه من اجل التفاسير واعظمتها' لانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك تفاسير الاقدمين) (٤) وقال الامام النووي: (اجمعت الامته على انه لم يصنف مثل تفسير الطبرى) (٨) وقال ابو حامد الاسفراينى: (لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل على كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن كثيرا) (٩)

والهدف من هنا المقال بيان ان تفسير الامام الطبرى ليس تفسيرا بالمأثور المحض فحسب .

فكما قال الامام السيوطى انه يوجد الاقوال ويرجح بينها وقوله ايضا ان تفسير الامام الطبرى جمع بين الروايه والدرايه - فستتكم ان شاء الله تعالى عن جديتي الروايه والدرايه في تفسير الامام الطبرى اى

من جانبين : الاول عنايته بالمأثور والثاني: عنايته بالرأى

الجانب الاول : عنايته بالتفسير بالمأثور

تعريف المأثور

هو البحث عن آيات تبين معنى آيات اخرى' او ما روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم من احاديث تفسر آيات من القرآن الكريم' او ما نقل عن الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من العلماء من اقوال يفسرون بها آيات كتاب الله تعالى- (١٠)

والامام الطبرى بين فى خطبته تفسيره الطرق الموصلة الى تفسير القرآن الكريم حيث بقوله: (القول فى الوجوه التى من قبلها يوصل الى معرفة تاويل القرآن ونحن قائلون فى البيان عن وجوه مطالب تاويله قال الله جل ذكره وتقلست اسماؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم) (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم...) وقال ايضا جل ذكره: (وما انزلنا عليك الكتاب الا تبين لهم الذى اختلفوا فيه..) وقال (هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات..) فقد تبين ببيان الله جل ذكره ان مما انزل الله من القرآن على نبيه صلى الله عليه وسلم' مالا يوصل علم تاويله الا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك تاويل جميع ما فيه من وجوه امره - واجبه ونهيه وارشاده... وما اشبه ذلك من احكام الله التى لم يدرك علمها الا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم لآياته وهذا وجه لا يجوز لاحد اتقول فيه الا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم وان منه مالا يعلم تاويله الا الواحد القهار وذلك ما فيه من الخبر عن احوال حادثته واوقلت آياته' كوقت قيام الساعة' والنفخ فى الصور ونزول عيسى عليه السلام وما اشبه ذلك وان منه ما يعلم تاويله كل ذى علم باللسان الذى نزل به القرآن... وقال ابن عباس: (التفسير على اربعة اوجه : وجه تعرفه العرب من كلامها' و تفسير لا يعزوا احد بجهاته' و تفسير يعلمه العلماء و تفسير لا يعلمه الا الله...) (١١)

فهذه وجوه التفسير بالمأثور ولن نعرض لتفسير القرآن بالقرآن او بالسنة لان هنا مما لا خلاف فيه وسيكون الكلام مقتصر على مؤلفه من اقوال العلماء من حيث مدى التزامه بها او ردها وسبب ذلك اما حججه قول الصحابى لمر اخر يراجع فى كتب اصول الفقه .

ان من منهج الامام الطبرى عندما يفسر آية او جملة من آياته ان يورد اقوال العلماء بلسانها بعد ذلك يرجع لولا - مع تعليقه الترجيح - براه هو الاصح فى معنى الآية ويقصد الامام الطبرى من استعراض الروايات الكثيرة والاقوال المتعددة ' استقصاء' ما ورد فى مدلول اللفظ المفرد' او الجملة او الآية الكريمة من معان متعدة' او متغايرة - توليفه كانت او لغوية او ما يحزر عن آتمه التفسير الثقات من آراءه هى ثمرة الاجتهاد بالرأى وهو يفعل ذلك- اى استقصاء الآراء وجمعها وتلويحها- بعينه نقلها وتمحيصها وترجيح ما هو اقوى دلالة او رفضها جملة اذ لم يمتنع اصلا من ردها لثبوتها فى فهم اللبيل على ما ينهب اليه جازما غير متردد' حتى لم يسلم من نقله كبار التابعين كما جاهد وغيره (١٢)

مدى قبوله او رفضه لاقوال العلماء

يتبع الامام الطبري قواعد يلتزم بها في قبوله او رفضه لاقوال العلماء واعرض فيما يلي اهمها

○ (١) اخذها باحد الاقوال ان دل عليه دليل

ليعد استعراضه الاقوال ان وجد دليلاً من ظاهر التنزيل او الحديث او حجته وعقلته مسلم بها بشهد لاحدها اخذ بذلك القول

فبعد تناول قوله تعالى (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً) ذكر خمسة الـقوال ثم عقب بقوله (واولى الاقوال بالصحة ما ذكرنا عن ابن عباس لان ذلك اصح الاستنبوي عن صحابي فيه قول مخرجا واشبه الاقوال بما دل عليه ظاهر التنزيل و ذلك ان قوله (ولا تجهر بصلاتك..) عقب قوله (قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن...) وعقبه تقرير الكفار بكفرهم بالقران وذلك بعدهم منه ومن الايمان لان كان ذلك كذلك فالذي هو اولى واشبه بقوله (ولا تجهر بصلاتك..) ان يكون من سبب ما هو في سياقه من الكلام مالم يات بمعنى يوجب صرفه عنه او يكون على انصرافه عنه دليل يعلم به الانصراف عما هو في سياقه فاذا كان ذلك لتاويل الكلام قل ادعوا الله او الرحمن اياما تلغوا لله الاسماء الحسنى ولا تجهر بها محمد بقراءتك في صلاتك ودعاك فيها لئلا يكون المشركون ولا تخافت فيها فلا يسمعا اصحابك...) (١٣) -

ب- عدم اجازته الخروج عن مجموع اقوالهم اذا دل على احدها دليل الى قول اخر ولو كان له وجه من الصحة

يقول عن معنى الآية السابقة: (ولولا ان اقوال اهل التاويل مضت بما ذكرت عنهم من التاويل وانا لانستجيز خلافهم فيما جاء عنهم من التاويل ان يقال: ولا تجهر بصلاتك التي امرناك بالمخافة بها وهي صلاة النهار لانها عجماء ولا يجهر بها ولا تخافت بصلاتك التي امرناك بالجهر بها وهي صلاة الليل لانه يجهر بها وابتغ بين ذلك سبيلاً) بان تجهر بالتي امرناك بالجهر بها وتخافت بالتي امرناك بالمخافة بها ولا تجهر بجميعها ولا تخافت بكلها. فكان ذلك وجهها غير بعيد من الصحة ولكننا لانراه صحيحا لا جماع الحجته من (اهل التاويل على خلافه) (١٣)

ج- وحول نفس المعنى يقول عند تفسير قوله تعالى (وهزى اليك بذراع النخلة تسالط عليك رطباً جنياً) ٢٥ - مريم (وقد كان لو ان المفسرين كانوا لسروه كذلك وهزى اليك رطباً بذراع النخلة على جذع النخلة وجهها صحيحا ولكن لست احفظ عن احد لسره كذلك) (١٥)

(٢) ترك الاقوال جميعا ان لم يشهد لاهلها دليل معتبر شرعا.

يتبع الامام الطبري عند تناول آيات كتاب الله تعالى الليل فحيثما عثر عليه اخذ به فان وجد قولاً يشهد له ظاهر التنزيل او الحديث او حجته وعقلته لسره والا اجتهد براه ووجه ما يراه مناسبا

عصين) ٨٩-٩٠ - الحجر. خالفهم في المراد به (المقتسمين) لبعضهم لال : هم اليهود والنصارى ولريق ثلث لال هم رهط من قوم صالح عليه السلام ولريق ثالث لال : هم الذين اتسموا طرق مكبته ايام لقوم الحجاج عليه . بعد ذلك يعقب بقولته (والصواب من القول في ذلك عندى ان يقال ان الله تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يعلم لومه الذين عضوا القرآن لفر لوه انه نذر لهم من الله وعقوبته ان يحل بهم على كفرهم وبهم وتكذيبهم نبهم ساحل بالمقتسمين . من قبلهم ومنهم ' وجائز ان يكون عنى بالمقتسمين اهل الكتابين التوراة والانجيل ' لانهم اتسموا كتاب الله ' فالرت اليهود ببعض التوراة وكنت بعضها وكنت بالانجيل والفرقان ' وكذلك النصارى الرت بالتوراة والانجيل وكنت بعضها وبالفرقان ' وجائز ان يكون عنى بذلك المشركون من لرش بعضهم سماه سحرا وبعضه سماه كهانة لذا لم يكن فى التنزيل دلالة على انه عنى به احد الفرق الثلاثة دون الاخرين ولائى خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولائى لطرة عقل وكان ظاهر الابه محتملا ماوصلت وجب ان يكون مقضيا بان كل من اتسم كتاب الله بتكذيب بعضه وتصديق بعضه ' لئال فى ذلك لانهم لاشكالهم من اهل الكفر بالله عبرة وللمتعلمين بهم منهم عظه) (١٦)

(٣) اهم الاسباب الداعية لاخته باحد الاقوال او رفضه لها صلته او لاحد منته

١- الاخذ بالقول الذى يدل عليه ظاهر التنزيل

١- فعند تفسيره لقوله تعالى (لا يواخذكم الله باللغو فى ايمانكم...) ٨٩ - المائدة

وبعد ذكره لآراء العلماء فى الكسوة فى قوله تعالى (او كسوتهم) قال (واولى الاقوال فى ذلك عندنا بالصحة واشبهها . بتاويل القرآن قول من قال عنى بقوله (او كسوتهم) ما ولع عليه اسم كسوة بما يكون ثوبا فصاعدا ' لان مادون الثوب لاخلال بين جميع الحجج ليس مما يدخل فى حكم الابه لكان ما دون لفر ذلك خارجا من ان يكون الله عنه بالنقل المستفيض والثوب وما لوله داخل فى حكم الابه اذ لم يات من الله تعالى وحى ولا من رسوله صلى الله عليه وسلم خبر ولم يكن من الابه اجماع بانه غير داخل فى حكمها وغير جائز اخراج ما كان ظاهر الابه مستحمله من حكم الابه الايجته يجب التسليم لها ولا حجة بذلك) (١٤)

٢- وعند قوله تعالى (واتوا حقه يوم حصاده) ١٣١ / المائدة .

يقول (.....) انا ارادوا بالحصاد الكيل فهنا لا يعقل فى كلام العرب واذا ارادوا تاويله واتوا حقه بعد يوم حصاده انا كلموه فلنك خلاف ظاهر التنزيل لان فى ظاهر التنزيل ابتاء الحق يوم الحصاد...) (١٨)

٣- وعند تفسيره قوله تعالى (اولوا برون انهم يفتنون فى كل عام مرة او مرتين ثم لايتوبون) ١٢٦ التوبة لال واولى الاقوال فى ذلك بالصحة ان يقال ان الله عجب عباده المؤمنين من المنافقين ' وويخ هولاء المنافقين بقله تذكرهم وسوء تنبيههم لمواعظ الله وجائز ان تكون تلك المواعظ ما يصيبهم من القحط والجوع او ما يروونه من نصر المسلمين او ما يكشف الله من خبث سرائرهم ' ولا خبر يوجب صحة بعض ذلك دون بعض من الوجه الذى يجب له التسليم له ' ولا

قول اولى بالصواب من التسليم لظاهر قول الله وهو اولاً يرون انهم يختبرون فى كل علم مرة او مرتين بما يكون زاجراً لهم ثم لا ينزجرون ولا يتعطلون (١٩)

- ب - اخذ بالعموم اذا لم يشهد لا قوالهم بالله على التخصيص دليل

١- فعند تفسيره لقوله تعالى (..... الامرون بالمعروف والنهي عن المنكر والحافظون لحدود

الله وبشر المؤمنين) ١١٢/ التوبة يقول (.....) لانه يعنى انهم يملكون الناس بالحق فى اديانهم واتباع الرشد والهدى والعمل وينهونهم عن المنكر وذلك نهيم الناس فى كل فعل وقوله نهى الله عباده عنه) بعد ذلك نقل ائمة عن الحسن البصرى وابى العالى ثم عقب بقوله (وقد دللنا فيما مضى قبل على صحة ما قلنا من ان الامر بالمعروف هو كل ما امر الله به عباده او رسوله واذا كان كذلك ولم يكن فى الابه دلاله على انها عنى بها خصوص دون عموم ولاخبر عن الرسول ولا فى فطرة عقل فالعموم بها اولى) (٢٠)

٢- وعند قوله تعالى (والذين لا يشهدون الزور واذا مروا بالنفو مروا كراماً ٢٢ / الفرقان قل

الامم الطيبى رحمه الله تعالى).... فان كان ذلك لاولى الاتوال بالصواب فى تاويله ان يقال والذين لا يشهدون من الباطل لا شركاً ولا غناء ولا كذباً ولا غيره وكل ما لزمه اسم الزور لان الله عم فى وصفه انهم لا يشهدون الزور فلا ينبغي ان يخص من ذلك شى الا بهجته يجب التسليم لها من خبر او عقل (٢١) - وعن النفو من الابه السابقة قال (.....) فللاوجه اذ كان كل ذلك يلزمه اسم النفو ان يقال: عنى به بعض ذلك دون بعض اذ لم يكن بخصوص ذلك دلاله من خبرا وعقل) (٢٢)

- ج - اخذ بالمعنى اللغوى اذا خالفته اقوالهم.

١- عند بيانه معنى الزور والنفو- من (الآية ٢٢ الفرقان) نظر فى الملل والنحل للنفوس للفظ وفسر

الابه بناء على ذلك حيث قال: (واصل الزور تحسين الشى ووصله بخلاف صفة حيث يدخل الى من سمعه او براه خلاف ما هو عليه والشرك لد يدخل فى ذلك لانه محسن لاهله حتى ظنوا انه الحق وهو باطل) ويدخل فيه الغناء لانه ايضا مما يحسنه ترجيع الصوت حتى يستحل سامعه سماعه والكذب ايضا مما يدخل فى معنى الزور فان كان ذلك كذلك للصواب ان يقال والذين لا يشهدون شيئاً من الباطل لا شركاً ولا غناء ولا كذباً ولا غيره وكل ما لزمه اسم الزور.....) (٢٣)

٢- وعند بيانه معنى النفو من الآية السابقة بقول الامام الطبرى رحمه الله (.....) والنفو فى كلام

العرب هو كل كلام او فعل باطل لاحقيقته له ولا اصل او ما يستجيب لسب الانسان الانسان بالباطل الذى لاحقيقته له من النفو وذكر التكاح بصريح اسمه لما يستجيب فى بعض الاماكن فهو من النفو وكذلك تعظيم المشركين اليهم من الباطل الذى لاحقيقته له مما عظموه على نحو ما عظموه وسماع الغناء مما هو مستجيب الى الله تعالى. وانما مروا بالباطل لسمعه او

واوه مروا كراماً ومرورهم كراماً" في بعض ذلك بان لا يسموه وذلك كالفناء وفي بعض ذلك بان يمرضوا عنه ويصلحوا وذلك اذا اوذوا بلسامع التبيح من القول وفي بعضه بان ينهوا عن ذلك وذلك بان يروا من المنكر ما يغير بالقول فيغروه وفي بعضه بان يضا ربوا عليه بالسبوك وذلك بان يروا قوما يقطعون الطريق على قوم ليستصرخهم المراد ذلك منهم ليصرخونهم وكل ذلك مرورهم كراماً. (٢٣)

٣- ويختار الامام الطبري القول الذي تشهد له اللفظ بالصحة كما في قوله تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون) . ١. الاتيئه بقول (....) واولى الاقوال عندى بالصواب ما قاله سعيد بن جبير ومجاهد ومن قال بقوليهما من ان معناه ولقد كتبنا في الكتب من بعد ام الكتاب الذي كتب الله كل ما هو كائن فيه قبل خلق السموات والارض وذلك ان الزبور هو الكتاب يقال زيرت الكتاب وزيرته اذا كتبتة وان كل كتاب انزله الله الى نبي من اتبيئه فهو ذكر فلذا كان ذلك كذلك لان في اخذ الالف واللام في الذكر الدلالة اليه انه معنى به ذكر بعينه معلوم عند المخاطبين بالابه.... الخ) (٢٥).

٢- يرد القول الذي يخالف معناه البناء الاعرابي للكلمة.

لعند تفسيره قوله تعالى: (شجرة تخرج من طور سيناء....) -٢٠- (المؤمنون) ويعد ان ذكر اختلاف العلماء في معنى (طور سيناء) قال (الصواب من القول في ذلك ان يقال ان سيناء اسم اضيف اليه الطور يعرف به كما قيل جبلا طنى فانيفنا الى طى ولو كان القول في ذلك كما قال من قال معناه جبل مبارك او كما قال من قال معناه حسن لكان الطور سنونا وكان قوله سيناء من نعتة على ان سيناء مبارك وحسن غير معروف في كلام العرب فيجعل ذلك من نعت الجبل. ولكن القول في ذلك انشاء الله كما قال ابن عباس من انه جبل عرف بذلك وانه الجبل الذي نودى منه موسى صلى الله عليه وسلم وهو مع ذلك مبارك لا ان معنى سيناء معنى مبارك) (٢٦)

د- الاحتكام الى عادة العرب في الكلام

١- وذلك عند الاختلاف في تحديد ملول لفظ ما فانه يحتكم الى ملول استعمال العرب لذلك اللفظ (٢٤) لعند تفسيره لقوله تعالى (حتى اذا جاء امرنا ولفر التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين..) (٣٠/ هود - ذكر الوالهم في معنى التنور لقل: انه وجه الارض وقيل انه عبارة عن تنوير الصبح وقيل انه عبارة عن اعلى الارض واشرفها وقيل انه عبارة عما يختبئ فيه بعد ذلك بقول الامام الطبري رحمه الله (واولى الاقوال عندى بتناول التنور قول من قاله التنور الذي يختبئ فيه لان ذلك هو المعروف من كلام العرب وكلام الله لاوجه الا الى الاغلب الاظهر من معانيه عند العرب الا ان تقوم حجته على شى منه بخلاف ذلك فيسلم وذلك انه جل نوايه انما مخاطبهم بما مخاطبهم به لانهماهم معنى ما مخاطبهم به... (٢٨)

لعند يمانه معنى (فائق الحب والنوى) من الآية ٩٥ / الاتعام بقول (هو الله الذى خلق الحب معنى شق الحب من كل ما نبتت من النبات فلخرج منه الزرع والنوى من كل ما يفرس مما له نواة.... اما القول الذى حكى عن الضحاک فى معنى فائق لقول ان لم يكن اراد به انه خلق منه النبات والغروس بخلقه اياه ولا عرف له وجها لانه لا يعرف فى كلام العرب لفق الشئ بمعنى خلق... (٢٩)

٣- نمازج من مخالفته الامام الطبرى لاقوال بعض العلماء :

١- مخالفته لابن عيسى رضى الله عنه واخرين.

لعند تفسيره لقوله تعالى (يوم يدعوكم لتستجيون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا) ١٠٢ / الاسراء ذكر الاقوال العلماء فقال بعضهم (تستجيون بحمده) اى بامرہ قاله ابن عيسى عن طريق على ابن ابي طلحة . وهو من اصح الطرق عن ابن عيسى فى التفسير- وهنا رأى ابن جريج ايضا وقال قتله (تستجيون بامرہ) اى بمعرفته وطلعت بعد ذلك يرجح رايها غير هذين القولين - فيقول: (واولى الاقوال فى ذلك بالصواب ان يقال معناه تستجيون من قبورك بقدرته ودعائه اياكم ولله الحمد فى كل حال كما يقول القائل لعنت ذلك الفعل بحمد الله معنى لله الحمد على كل ما فعلته كما قال الشاعر.

فانى بحمد الله لا ثوب لاجر ليست ولا من غلوة اتقنع

بمعنى فتنى والحمد لله لا ثواب لاجر ليست... (٣٠)

٢- مخالفته اقوال مجاهد

عند يمانه المعنيين من قوله تعالى: (اما من الذين مكروا السنيات ان يخسف الله بهم الارض) قال الامام الطبرى هم مشركو قرينش. ثم نقل قول مجاهد- حيث لا يوجد الاقواله ان المعنى بالايه نمرود بن كنعان. بعد ذلك علل سبب اختياره هنا الراى دون الذى قاله مجاهد حيث قال (واتما اخترنا القول الذى قلنا فى تاويل ذلك لان ذلك تهليل من الله اهل الشرك به وهو عقيب قوله (وما ارسلنا من قبلك الا رجالا لا نوحى اليهم فاسالوا اهل الذكر....) فكان تهليل من لم يقر بحمده الله الذى جرى الكلام بخطابه قبل ذلك من الخبر عن انقطع ذكره عنه (٣١)

٣- رده لقول ابن جريج.

عند يمانه معنى قوله تعالى (يوم يجمع الله الرسل ليقول ماذا اجبتم قالوا لاعلم لنا انك انت علام الغيوب) المائدة ١٠٩ وبعد ذكره الاقوال وترجيح احدها قال (واما الذى قاله ابن جريج من ان معناه ماذا عملت الامم بعدكم؟ وماذا احدثوا فتاويل لاسمى له لان الانبياء لم يكن عندها من العلم بما يحدث بعدها الا ما اعلمها الله من ذلك واذا سئلت عما عملت الامم بعدها والامر كذلك فلما يقال لها ماذا عرفناك انه كان منهم بعدك وظله. خبر الله تعالى ذكره عن مسالته اياهم يدل على غير ذلك (٣٢)

الجانب الثانى

الراى فى تفسير الامام الطبرى :

ان القارى فى تفسير ابي جعفر الطبرى راجع الى حاله عند قوله تعالى (وما ارسلنا من قبلك الا رجالا لا نوحى اليهم فاسالوا اهل الذكر....) فلاحظه

وعنى سببه لاهوار الاتوال وبعثه فى الآراء وقوة حججه حتى يخرج بعد التحميص والتلقيق وتقلب مختلف الوجوه بتاول لتاويل لآيته مثل بلبراهين ولا يملك المتبج له الا ان ينساق مع الامم فى تاويلاته لآياته وبهز راسه علامه للرضا والقبول لما يقرأ ثم يقرر معلنا ان تفسير الامام الطبرى هو التفسير الذى لا يقابل ولا يضارع الاى بعض هنات ولع لهما الامم لان لكل جواد كبوة ولكل لزم زله . ولكل عالم خطا.

ان الامم وهو انا يجتهد ويلقى برايه فان اجتهداه يصدر عن قواعد يتبعها ويتزم بها. واذكر لهما بلى بعض تلك القواعد التى يسير عليها عند تفسيره آيات كتاب الله تعالى.

١- جزمه بالرأى الذى يختاره على انه الاصح فى تاويل الآيه.

وذلك عندما يعثر على دليل قوى سالم من الاعتراض . فعند بيان معنى الحجج الاكبر من الآيه الثالثه من سورة التوبه وبعد ذكر الآراء قاله (واولى الاتوال بالصحة عندنا قول من قاله (يوم الحج الاكبر) يوم النحر' لتظاهر الاخبار عن جماعته من اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ان عليا نادى بما ارسله به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرساله الى المشركين وتلا عليهم يوم النحر هنا مع تظاهر الاخبار التى ذكرنا ها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يوم النحر (اتدرون اى يوم هنا؟ هنا يوم الحج الاكبر) (٣٣)

ب- وعند بيانه معنى قوله تعالى (..... وايدناه بروح القدس....) ٨٤/ البقرة وبعد ذكر الآراء قال (واولى التاويلات فى ذلك بالصواب قول من قال الروح فى هنا الموضوع هو جبريل لان الله جل ثناؤه اخبرناه ايد عيسى كما اخبر فى قوله (اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعنى والديك اذا ابدتك بروح القدس . تكلم بالنس فى المهد وكهلا" واذ علمت الكتاب والحكمته والتوراة والانجيل) لئو كان الروح الذى ابد الله به هو الانجيل لكان قوله (اذ ابدتك بروح القدس واذ علمت الكتاب والحكمته والتوراة والانجيل) تكرير لاسمى له وذلك انه على تاويل قول من قال معنى اذ ابدتك بروح القدس انما هو اذ ابدتك بالانجيل واذا علمت الانجيل وهو لا يكون به موينا الا وهو معلمه فلذلك تكرير كلام واحد من غير زيادة معنى لى احدما على الاخر وذلك خلف فى الكلام والله تعالى ذكره يتعالى ان يخاطب عباده بما لا يليقهم (٣٣) (.....) (٣٣)

(وانظره ٢٣٨/٩ عند تفسيره قوله تعالى (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) - ٣٣ انفال

٢- علم الجزم بالرأى الذى يؤول به الآيه.

اذا لم يجد الامام الطبرى دليلا قاطعا على المعنى الذى اختاره فانه لا يجزم به فعندما تكلم عن (اصحاب الرس) ٣٨/ الفرقان وبعد ذكر الاختلافات فى تحليلهم قاله (والصواب من القول فى ذلك قول من قال : هم قوم كانوا على بنى وذلك ان (الرس) فى كلام العرب كل محفوظ مثل البئر والقبر ونحو ذلك..... ولا اعلم لوما كتب لهما لآيته بسبب حمله ذكرهم الله فى كتابه الا اصحاب الاخود لان

العرب لاتجمع النساء اذا لم يكن معهن رجال بالياء والنون ولا بالواو والنون ولو كان معنا بذلك النساء لقبيل فاقعدوا مع الخوالب او مع الخالفات... (٢٠)

٤ - اهتمامه بالسباق والسباق والحاق وربط الآية ببعضها.

يراعى الامام الطبرى تاثير الايات ذات الموضوع الواحد بعضها على البعض من حيث المعنى :

١- لعند ياتنه المراد من قوله تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكمونك فيما شجر بينهم... ٩٥ النساء بقول (وهنا القول اعنى قول من قال عني به المحتكمان الى الطلغوت اللذان وصف الله شاتمهم فى قوله (الم ترى الى الذين يزعمون انهم استوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك...) اولى بالصواب لان قوله (فلا وربك لا يؤمنون...) فى سياق قصته الذين اسدى الله الخير عنهم بقوله الم تر الى الذين برعمون ولا دلاله تلى على انقطاع قصتهم فالحاق بعض ذلك ببعض مالم تات دلالتة على انقطاعه اولى... (٢١)

٢- وعند تفسيره الآية ٤٣ - من سورة الحج بقول (..... واتما قلت هنا القول اولى بتاولي فلقد لان ذلك فى سياق الخبر عن الالته والذباب لان يكون ذلك خيرا عما هو به متصل اشبه من ان يكون خيرا عما هو منقطع...) (٢٢)

٣- وعند تفسيره قوله تعالى (... ولا تاخذكم بهما راتنه فى دين الله...) -٢- النور. يربط بين اجزاء الآية ويوول بناء على ذلك حيث بقول (..... واتما قلنا اولى التاولين بالصواب لدلالته قول الله بعله (فى دين الله) يعنى فى طاعته الله التى امركم بها ومعلوم ان دين الله الذى امره فى الزانين القاتنه حد الله عليهما...) (٢٣)

٨- يرجع القول المستند الى الواقع المعلوم

لعند ياتنه معنى (من الكافرين) فى خطاب لرعون لموسى عليه السلام فى قوله تعالى (..... وعلت لعلتك التى لعلت واتت من الكافرين) ١٩/ الشعراء/ بقول ابو جعفر: (..... وهذا القول الذى قاله ابن زيد اشبه فى تاولي الآية - وابن زيد قال: ريناك فينا وليد ا" فهنا الذى كافاتنا ان تلت منا نفسا وكفرت نعمتنا. ا. لان لرعون لم يكن مقرا بالروية واتما كان يزعم انه هو الرب لغير جائز ان بقول لموسى ان كان موسى عنده على دينه يوم تلت القتل' كما قاله السلى: لعلت الفعلته واتت من الكافرين' الايمان عنده - هو دينه الذى كان عليه موسى عنده...) (٢٤)

من خلال هنا يتضح لنا ان الامام الطبرى لم يكن مجرد ناقل لالوال من سيقه من العلماء بل انه كان بوجه الوالهم ويختار منها ما شهد له الدليل ويرفض مالا دليل عليه واحيانا كثيرة يخرج عن جميع الالوال لفسر الآية باجتهدا لهذا نستطيع ان نطلق عليه بانه المفسر المجتهد' وهذه دعوة لكل طالب عالم ان ينهل من معينه الذى لا ينضب .

واخر دعواتنا ان الحمد لله رب العالمين

المواحيث

٣٦/١	جامع البيان	٣-٢-١-
٢٠٥/١	التفسير والمفسرون	-٣-
٢١٠-٢٠٤/١	المصدر السابق	-٥-
	مقدمته ابن خلدون/ ٣٨٣ / دائرة	-٦-
١٣٣/٢	المعارف الاسلاميه ٣٠/٥/٥ فحي الاسلام	
١٩٠/٢	الاتقان في علوم القرآن	-٨-٤-
٣٢/١٨	معجم الانباء	-٩-
٤٢/١	التفسير والمفسرون	-١٠-
٣٣-٣٢/١	جامع البيان	-١١-
١٣٤/١	دراسات اسلاميه	-١٢-
١٨٨-١٥ - بتصرف	جامع البيان	-١٣-١٣-
٤٢/٦ بتصرف	المصدر السابق	-١٥-
٦٣-٦٢ /١٣ بتصرف	المصدر السابق	-١٦-
٢٦/٤	المصدر السابق	-١٤-
٦٠/٨ بتصرف	المصدر السابق	-١٨-
٢٥٣/٣ وانظر	المصدر السابق	-١٩-
٣٩/١١	المصدر السابق	-٢٠-
٣٩-٣٨/١٩	المصدر السابق	-٢١-
٥٠/١٩ وانظر ٣/١٨	المصدر السابق	-٢٢-
٣٩/١٩ بتصرف	المصدر السابق	-٢٣-
٥٠/١٩	المصدر السابق	-٢٣-
١٠٣/١٤	المصدر السابق	-٢٥-
١٣/١٨	المصدر السابق	-٢٦-
٢١٤/١	التفسير والمفسرون	-٢٤-
٣٠/١٢ بتصرف	جامع البيان	-٢٨-
٢٨٠/١٤	المصدر السابق	-٢٩-
١٠١/١٥	المصدر السابق	-٣٠-
٢٣١/١٥ وانظر ١٤/١٤	المصدر السابق	-٣١-

١٢٦/٤	المصدر السابق	- ٣٢ -
٤٣/١٠	المصدر السابق	- ٣٣ -
٣٠٥/١	المصدر السابق	- ٣٣ -
١٥-١٣/١٩	المصدر السابق	- ٣٥ -
٣٦/٦	المصدر السابق	- ٣٦ -
٣٤٩/١ - ١٨٣/١٠ - ١٤٨/١٠	المصدر السابق	- ٣٤ -
١٨٥/١٠	المصدر السابق	- ٣٨ -
١٢/٤	المصدر السابق	- ٣٩ -
٣٠٣/١٠	المصدر السابق	- ٣٠ -
١٥٩/٥	المصدر السابق	- ٣١ -
٢٠٣/١٤	المصدر السابق	- ٣٢ -
١٦٠/١٨	المصدر السابق	- ٣٣ -
٦٦/١٩	المصدر السابق	- ٣٣ -

المراجع

إيران- ت- محمدم ابو الفضل ابراهيم	الاتقان في علوم القرآن	السويطي جلال الدين	١-
الطبعة الثالثة (١٩٤٩)	التفسير والمفسرون	الذهبي محمد حسين	٢-
/ ط/ دارالفكر- بيروت ١٩٨٨	جامع البيان	الطبري محمد بن جرير	٣-
/ ط/ دارالمعرفة لبنان-	علاء من المستشرقين	دائرة المعارف الإسلامية	٣-
/ ط/ دمشق	دولسات اسلاميه	الدروني محمد لتحي	٥-
/ ط/ ايران	المقدمة	ابن خلدون	٦-

وجبريل ينادي في نواحيها
بركعة في ظلام الليل يحييها
حتى سقاها بكأس الموت ساقياها
كذلك الموت يفني كل من فيها
والناس في غفلة عن ترك ما فيها

أحمد دلالها والرب بانعها
من يشتري الدار في الفردوس يفرها
أين الملوك الذي عن حظها غفلت
أفنى القرون وأفنى كل ذي عمر
والموت أحق بالدنيا وزخرفها